

الزمكانية في رواية الجفاف يأتي من البحر لمحمد سعادي

Spatiotemporalism in the novel Drought Comes
from the Sea by Mohammed Saadiبختة حدوش¹ (1)

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، (الجزائر)

البريد الإلكتروني: b.haddouche@univ-chlef.dz

إيمان تدمرة

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، (الجزائر)

temdraraimane0405@gmail.com

تاريخ النشر: 2026-06-09

تاريخ القبول: 2026-06-07

تاريخ الإرسال: 2025-10-13

الملخص

إن رواية "الجفاف يأتي من البحر" هي نموذج عن الرواية الجزائرية التي عرفت تطورا ملحوظا في مسارها التاريخي، وقد اتسمت هذه الرواية بطابعها الواقعي والاجتماعي نظرا للموضوعات التي تضمنتها، أما عن تجليات الزمكانية فيها نقول بأنّ عنصر الزمان والمكان هما من بين العناصر الأساسية المكونة للبنية الفنية السردية، وقد اكتسبت الرواية جمالياتها انطلاقا من هذين العنصرين اللذان يتميزان بأثرهما الفني الذي ساهم في خلق نص روائي في قمة الابداع وجعلا الأحداث أكثر واقعية.

الكلمات المفتاحية: الزمان، المكان، الزمكانية، الرواية، رواية الجفاف يأتي من البحر، محمد سعادي

Abstract :

The novel "Drought Comes from the Sea" is an example of the Algerian novel that has witnessed a remarkable development in its historical path. This novel is characterized by its realistic and social nature due to the topics it contains. As for the spatio-temporal manifestations in it, we say that the elements of time and place are among the basic elements that make up the artistic narrative structure. The novel has acquired its aesthetics based on these two elements, which are distinguished by their artistic impact that contributed to the creation of a narrative text at the peak of creativity and made the events more realistic.

Keywords : time, place, spatiotemporality, novel, The Drought Comes from the Sea, Mohammed Saadi

مقدمة:

لقد عرفت الرواية العربية انتشارا كبيرا في الساحة الأدبية، نظرا لما تتميز به من تقنيات فنية تستطيع من خلالها تكوين نص روائي محكم النسيج، يقوم على تقنية الزمان والمكان اللذان هما أساس قيام النص الروائي بعد الشخصيات، إذ أنّ هذين العنصرين لهما أهمية كبيرة في الرواية، حيث يوظف الروائي العديد من الأمكنة التي يمكن أن تكون من وحي الخيال أو أماكن من الواقع. أمّا عنصر الزمن فتنتقل عبره الشخصيات الروائية بيت الزمن الماضي والحاضر. ومن هنا نقوم بطرح الإشكالية التالية "تجليات الزمكانية في رواية الجفاف يأتي من البحر لمحمد سعادي"، قد اخترنا هذه الرواية لأنها تزخر بالعديد من القيم الفنية السردية، والتي مكّنت من رصد البنى المكانية والزمانية.

1. ملخص الرواية :

رواية الجفاف يأتي من البحر هي رواية جزائرية من تأليف الروائي الجزائري محمد سعادي، تحكي الواقع الجزائري من المعاناة التي سلّطها الاستعمار الفرنسي من دمار شامل في العديد من المجالات كالـتعليم والاقتصاد... وقد قسّم الروائي روايته إلى خمسة فصول، فالأول السارد فيه هو عابد بن عبد الرحمن الغليزاني، والثاني هو عبد الرحمن بن الحاج عبد القادر الغليزاني، والثالث الحاج عبد القادر بن البغداي الغليزاني، والرابع سيدي البغداي الغليزاني، أمّا الفصل الخامس والأخير فكان على لسان سيدي بن عبد الله الغداوي.

ففي الفصول الخمسة نجد الروائي على ألسنة تلك الشخصيات يسرد العديد من الحوادث والوقائع التي ألمّت بهم في فترة الاحتلال الفرنسي، من معاناة الشعب الجزائري وتختلف السياسات التي سلّطها هذا الاستعمار الغاشم في حق شعب أبي يريد الحياة وتمسك بها. كما أورد الروائي مختلف المشاكل التي تولّدت انطلاقا من الاستعمار كالدمار الشامل في العديد من القطاعات الحيوية مثل التعليم والاقتصاد والجانب الاجتماعي، هذا الأخير الذي يفقر لأدنى مستويات العيش الكريم للإنسان من ضيق في المسكن وفقر وجوع وتهميش، ممّا دفع بالشباب الجزائري إلى التفكير في الهجرة غير الشرعية كالشابين توفيق وعابد.

ورغم كل ما قام به الاحتلال الفرنسي لم يستسلم الشعب الجزائري فقاومه وتصدّى له ووقف له بالمرصاد من المقاومة الشعبية، ممّا دفع المستعمر إلى اعتقال الكثيرين منهم، كاعتقال والد عبد الرحمن السيد الحاج عبد القادر الغليزاني، والزجّ به في معتقل لاصاص الذي تميّز ضباطه بالهمجية والتعذيب والتعنيف في حق المعتقلين.

2. بناء الزمن في رواية الجفاف يأتي من البحر:

الزمن أحد التقنيات السردية التي يقوم عليها البناء الروائي وهو عنصر أساسي ومحوري في العملية الحكائية، كما أنه يترتب عليه العديد من العناصر الخاصة بالتشويق والايقاع والاستمرار، بالإضافة إلى أنه يمثل إلى حد بعيد طبيعة الرواية وشكلها، والزمن ليس له وجود مستقل كباقي العناصر الروائية مثل المكان والشخصيات، إذ أنه يتخلل العمل الروائي ككل ولا نستطيع التّعرض إليه ودراسته بصفة جزئية، لأنّه الهيكل الذي عليه تبنى الرواية. وترى الباحثة أيضاً أنّه ليس للزمن وجود مستقل نستطيع أن نستخرجه من النص كالشخصية أو الأشياء الموجودة في المكان، فالزمن يتخلل الرواية كلها، ولا نستطيع أن ندرسه دراسة تجزئية فهو الهيكل الذي تشيّد فوقه الرواية²، أي أنّه الركيزة الأساسية للرواية وهو جزء لا يتجزأ عن باقي العناصر المشكلة للبنية الروائية، ولا يمكن تصور نص روائي دون زمن.

وقد صنّف الزمن إلى ثلاث أصناف هي الترتيب الزمني والاسترجاع والاستباق، والترتيب الزمني هو محاولة مقارنة نظام الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردى وهذا من خلال تتابع وتوالي الأحداث . والاسترجاع هو عملية العودة بالسرد في العمل إلى الزمن الماضي، من خلال استنكار أحداث وقعت في زمن مضى، أمّا الاستباق فهو نقيض الاسترجاع يتم فيه الإشارة إلى أحداث مسبقاً قيل وقوعها.³ والديمومة أو المدّة هي "مقارنة الفترة الزمنية التي تستغرقها الأحداث في الحكاية بالمدّة الزمنية التي تستغرقها في الخطاب"⁴، كما ننوه إلى أنّ كل الاسترجاع والاستباق هما عنصران يدرجان تحت الترتيب الزمني، سنحاول اسقاط هذه العناصر الزمنية على رواية الجفاف يأتي من البحر للروائي محمد سعادي، كما يلي:

1-الترتيب الزمني:

إنّ الترتيب الزمني يعمل على كسر زمن القص أو الحكى مع انفتاحه على زمن ماض بعيد أو قريب، كما أنّه بمثابة مجموعة من العلاقات بين التتابع الذي تقع فيه مختلف الأحداث والوقائع الروائية⁵، وقد تفتّن الروائي في استعمال هذه التقنية السردية بجزئها الاسترجاع والاستباق، وهذه التقنيات تعرف في الدرس النّقدي الأدبي بالمفارقات الزمنية، وقد وظّفها الروائي في نصه كما يلي:

أ-الاسترجاع:

وهو من بين التقنيات المهمة في بناء الزمن الروائي، يعرف بأنّه العودة بالأحداث إلى حدث كان قد وقع في زمن مضى قبل الحدث الذي يحكى الآن⁶. أي أنّه هو استحضار حوادث ماضية في زمن

حاضر من الحكي، وبهذا يكون قد رجع إلى الوراء بسرد أحداث ماضية، والاسترجاع يتخذ عدّة أصناف حصرها النقاد فيما يلي:

أ- **استرجاع داخلي**: وهو ذلك الاسترجاع الذي يتمثل في العودة إلى حدث مضى داخل وقائع، وبهذا يكون جزءاً من أحداث تلك الرواية، لذلك اصطلح عليه بالاسترجاع الداخلي⁷.

ب- **استرجاع خارجي**: وهو استرجاع لحدث خارج نطاق الرواية أي لا يكون له علاقة بأحداث الرواية بعيداً كلّ البعد عن أجزائها.

ج- **استرجاع تذكري**: وهو ما يتم ذكره مرة واحدة من خلال الرجوع بالذاكرة، دون التركيز إن كان داخلياً أو خارجياً.

د- **استرجاع تكراري**: هو ذلك الاسترجاع الذي يحدث عدّة مرات وهذا كلّما اقتضى السياق ذلك.

هـ- **استرجاع جزئي**: هو استرجاع يتم باستحضار جزء من حدث مضى دون ذكره كلّ، ثم العودة إلى الموقف الذي تم التوقف عنده وإتمام عملية السرد، وهو يأتي في شكل ومضات.

ي- **استرجاع تام**: وهو عكس الاسترجاع الجزئي، يحدث بذكر أحداث ماضية دون العودة إلى النقطة التي تم التوقف فيها ومواصلة السرد⁸.

ومن المقاطع الروائية التي تمثلت فيها تقنية الاسترجاع الزمني نجد المقطع التالي: "عندما سافرت لأول مرة إلى فرنسا لم أكن أعرف عنها كثيراً... وصلت إلى مارساي التي لم تعجبني كثيراً لكثرة العرب فيها وقد كنت أريد أن أجد مكاني بين الفرنسيين، القور، ليلتي الأولى بت في نزل بئيس رث ولكنّه أحسن من بيت أبي... في الصّباح بدأت أبحث عن عمل والذي لم أتحصل عليه إلّا بعد شهرين وزيادة من البحث والتي ذقت فيها الأمرين، ميزيرية كبيرة يا ولد خويا، عشت أيامها على أكل البلوط وبعض الفطير..."⁹ ففي هذا المقطع نجد العم الجيلالي يستذكر ما مرّبه في ديار الغرب، لحظة وصوله إلى فرنسا فيحكي ذلك لابن أخيه عابد الذي يفكر في الهجرة غير الشرعية.

كما نجد الاسترجاع في تذكر عبد الرحمن بن الحاج عبد القادر الغليزاني حادثة الطفل التي وقعت في المدرسة، وهذا المقطع يوضّح ذلك: "لا أنسى أبداً تلك الحادثة التي وقعت لذلك التلميذ، زميلنا الساكن في حيّ الرق بخشة البغل، مسعود، الذي وقع على رأسه فوق حجرة مدببة صلبة عندما كان يجري فرأيت دماغه كاملة على رأسه المشققة نصفين. كيف نجا؟ لا أحد يدري مقد عولج في مستشفى المدينة الذي استخلف فيه الأطباء الكوبيون أولئك الفرنسيين والأوروبيين من الأطباء والطبيبات والممرضين..."¹⁰.

كما نجد أيضاً تذكر عابد الحادثة التي توفي فيها العمّ منور زوج العمّة فتيحة بقوله: "الذي توفي إثر حادث سيارة ذات ليلة كان يزور فيها أخاه الحاج العربي إمام مسجد "الحدورة" بحي القرابة، الذي

أخبرني أبي بأنه ردم ذات مساء على طلبته الصغار وهم يكررون القرآن إثر اصطدام حافلة ركاب هبطت مسرعة من عمارات "ديار الورد" بسبب قطع مكابحها... فانحرفت به سيارته وانقلبت فخرج منها وسقط وسط الطريق لولا أحد حراس الشركة التي انحرف بالقرب منها أشعل المحمول، لومب بلا دور، وبدأ يصرخ كلما قدمت سيارته حتى لا تصطدم به وقد كان يظمه لا زال حيا.¹¹

كما استعمل الروائي المؤشرات الواضحة التي تدلّ على الاسترجاع والتذكر كالفعل "تذكرت"، وهذا يتجلى في قوله: "تذكرت تلك المرة التي اعتقل فيها وذهب به إلى مركز لاصاص أين سئل بشدة وعنف، حتى لا أقول التعذيب، فقاوم ركلات ولكمات ذلك الضابط الذي أحسّ بأنه يتلذذ في مساءلته وتعنيفه، ليرجع بعد أكثر من أسبوع تسبقه كدمات دامية تميل إلى الزرقة تشكّل بصمات من الدّم ما تبقى من قميصه المبلل المتسخ لعدم تبديله له كل هذه المدة التي قضاها في معتقل لاصاص، الذي تحوّل بعد الاستقلال إلى تجمع سكني محافظا على طابعه العسكري بأسواره الشبه عالية وطلائه الأصفر الداكن الذي لم يتغيّر منذ تركه الجيش الفرنسي...¹²، فهو هنا يتذكر اليوم التي اعتقل الاحتلال الفرنسي والده وكيف تعامل معه من عنف ونهر وقيادته إلى معتقل لاصاص الذي عرف ببشاعته، فقد كان كلّ من يدخله لا يخرج إلا جثة هامدة لا يمكن التعرف عليها، أو إطلاق سراح بعد مدة طويلة من الزمن.

كما نلمح الاسترجاع أيضا في تذكر عابد صديقه جمال وهو في دكانه منهمكا بالشغل الذي أنهك كاهله وخارت قواه، وهذا يتبين في قوله: "تذكرت جمال في دكانه بحيّ الحفرة، كانت لاسودير كاتلاته، من الصباح وهو يجبد حتى المغرب باش يلحق على لاكمند، ولكنّه فضل مغادرة البلاد على البقاء فيها ينتظر تخلص فاتورة من إحدى الإدارات المملة المتباطئة المتعاسة التي إذا لم يرش مسؤوليها، كرسي، طابله، طابوري لأولادهم ولا أبنائهم... كان جمال يعرف بأنه لو بقي على هذه الحال سيختنق، هو انتحار بطيء لشاب طموح يريد الوصول إلى تحقيق أحلامه البسيطة...¹³.

ب- الاستباق أو الاستشراف:

هو عبارة عن تقنية سردية تشكّل تمهيدا وتوطئة للأحداث الروائية التي ستقع، والهدف من هذه التقنية هو حمل المتلقي مهما كانت طبيعته على التكهّن بالأحداث المستقبلية التي ستكون في الرواية أو التكهّن أيضا بمستقبل الشخصيات الروائية... وهي تأتي في شكل إعلان يؤول مصير الشخصيات، إلا أنّ هذه الأمور ليست أمر يقيني تتحقق فعليا حسب الرؤية الفنية للسارد، بالإضافة إلى أنّ الاستباق هو عملية استشراف الأحداث والقفز على حاضر النص¹⁴. أي أنّ الاستباق هو تلك التمهيدات التي تسبق سرد الحوادث، وهذا يجعل المتلقي أكثر توقعا للأحداث التي ستقع فيما بعد، وللاستباق عدّة أشكال مثل الاسترجاع، يمكن أن نوردها كما يلي:

أ-الاستباق الداخلي: وهو الاستباق الذي يكون ضمن العمل السردى، متجاوزا بذلك خاتمته دون الخروج عنة إطاره الزمني.

ب-الاستباق الخارجي: وهو عكس الداخلي، أي لا نجده داخل المضمون السردى لأحداث الرواية.

ج-الاستباق الإفرادى: وهو الاستباق الذي يستذكره الروائي مرة واحدة لا غير.

د-الاستباق التكرارى: وهو عكس الإفرادى، نجده يتكرر في العديد من المقاطع السردية.

هـ-الاستباق الجزئى: وهو أن يسرد السارد بعض الأحداث، ولكن يعود إلى النقطة التي توقّف فيها ويواصل السرد.

ي-الاستباق التام: مثل الاسترجاع التام، حيث يتم فيه التوقف وسرد أحداث مستقبلية، دون الرجوع إلى النقطة التي توقف فيها السرد.¹⁵

ومن نماذج الاستباق والاستشراف ففي رواية "الجفاف يأتي من البحر" نجد المقطع التالي "فتحت التلغزة على أخبار الثلوج المتهاطلة على أوروبا لا سيما في فرنسا التي تطلّ عي من خلال قناة "لادو" التي لا أحيد عنها، أتدرب على اللغة الفرنسية حتى لا أجد صعوبة حين أسافر إليها مع ابن عمتي توفيق، فأسلك نفسي وأعرف ماذا يقولون وعمّا يتحدثون لي لما ألتقي بأحد الفرنسيين. أعرف بأنّ الأمر ليس سهلا، ولكن أيضا ليس صعبا علي وقد تعودت على النّطف بها كلّما أتحت لي الفرصة التحدث بها."¹⁶ فقول عابد في هذا المقطع دليل على تفكيره في الهجرة غير الشرعية وإصراره عليها. كما نجد أيضا يتنبأ بما سوف يقع لعمّه الجليلي عندما يلتحق بالثورة في فرنسا بقوله: "سوف يشهد عمّي الجليلي الثورة التحريرية بفرنسا، الولاية السادسة، وسيتهّمه أحد الضباط الفرنسيين بالتّخابر مع المجاهدين أيام الثورة، في خمسينيات القرن العشرين، حين يأتي في زيارة عند والده، جدي، سيتلقفه الضابط جاكو الذي أحدث الرعب في مدينة غليزان قبل أن يقتل ويدعي الكثيرون من يتصنعون الجهاد بقتله..."¹⁷.

كما نجد عينات أخرى من الرواية تظهر النظرة المستقبلية لأحداث الرواية مثل حديث عابد عن وفاة عمّه الجليلي وكيف تتصرّف زوجته في هذه الحالة، وهذا يظهر في قوله: "سينوفى عمّي الجليلي في بلد الغربة وتدفنه، زوجته المغربية في بلادها لما يتوفى هناك بالدار البيضاء، سيمرض مرضا مزمنًا ويطلق له الكثير من معدته التي لم تعد تصلح، ربّما من كثرة المبيت حينما سافر إلى باريس..."¹⁸.

2-الايقاع الزمني:

هو عملية دراسة الزمن الروائي من خلال عملية قياس الأحداث زمنيا، و"مقارنة الفترة الزمنية التي تستغرقها الأحداث في الحكاية بالمدة الزمنية التي تستغرقها في الخطاب."¹⁹ وقد اقترح الناقد الغربي جبرار

جنيت أربع تقنيات لدراسة هذا العنصر الروائي وهي: الخلاصة والاستراحة والحذف والمشهد.²⁰ سنفصل فيها كما يلي مع محاولة إسقاط تلك العناصر على روايتنا محل الدراسة:

2-1- الاستراحة (أو الوقفة الوصفية):

الاستراحة هي تلك العملية القائمة على التوقف عن السرد، مما يؤدي إلى التوقف الضروري للحكي وحركة الزمن، ويتم هذا من خلال الاعتماد على تقنية الوصف، لأنّ هذا الأخير يقوم بتشخيص الأشياء مع محاولة تمثيلها على الحدث والحركة، وبالتالي يتجرّد الوصف من عنصر الزمن²¹. ومن أمثلة هذه التقنية في رواية «الجفاف يأتي من البحر» نجد قول الروائي وهو يصف معتقل لاصاص بقوله: "...كلّ هذه المدة التي قضاها في معتقل لاصاص، الذي تحوّل بعد الاستقلال إلى تجمع سكني محافظا على طابعه العسكري بأسواره الشبه عالية وطلائه الأصفر الداكن الذي لم يتغيّر منذ تركه الجيش الفرنسي مغادرا مدينة غليزان إلى لا عودة بعد إعلان الاستقلال..."²².

كما نجد هذه التقنية أيضا في المقطع الذي يصف فيه الروائي المدرسة التي درّس فيها: "...الذي شاهدته بدوري فيما بعد لمّا انضمت إلى المدرسة، مدرسة موسكي. ما كان يجذب انتباهي كثيرا أبواب الأقسام التي لوّنت بألوان مختلفة، من أحمر وأزرق وأصفر وبني وبرتقالي، فكنا نسمّي القسم بلون بابه. وكانت المدرسة القرباوية الأولى مجموعة من الأقسام المتراسة الملاصقة ببعضها البعض تتوسطها ساحة بين التراب والحصى تزينها مجموعة من الأشجار وتحيط بها مجموعة أخرى من أشجار الكاليتوس يتشكل مبناها من تلاصق الأقسام وجدران..."²³ وتوظيف الروائي لهذه التقنية لوصف المدرسة كان الهدف منه هو تعريف القارئ على ماضي هذه الشخصية الروائية.

ومن أمثلة الاستراحة نجد أيضا الوصف الذي منحه السارد لجامع الأزهر بقوله: "قبلها كنت أمني النفس بالصلاة في جامع الأزهر الذي وقفت في باحته الكبرى المبلّطة...مشيت خطوات لأقف قدام بابه الداخلي الذي يوصل إلى سجاجيد الصلاة الحمراء وسقفه العالي المرتكز على ساريات عالية وضخمة تعلوها مستطيلات من الخشب المتين السميك القديم تزيّنه ثريات ضخمة في كلّ مكان..."²⁴، بالإضافة إلى مثال آخر "لم يكن الحوش يحتوي سوى على غرفة ومطبخ، بنيت الغرفة بالطوب ولطيت بالإسمنت حتى تصمد أمام ضربات الأمطار يعلوه سقف من القصب المصفف الممسوك بالأسلاك يتوسطه باب خشبي رث يكاد ينخلع، ويعلو المطبخ، الكوزينة، سقف من القرميد العاري المكسّر نصفه والذي لا يستطيع مقاومة زخات المطر التي تقطر علينا كلّما حل الشتاء ببرده القارص..."²⁵.

كما نلمحه يصف قصر المنتزه بقوله: "يلقاك قصر المنتزه بطلائه الأحمر ووقفته الشامخة في تلك الرّبوّة الصّغرى يستقبل البحر في شموخ وكبرياء بنوافذه الكثيرة وبابه الحديدي الشّباك المتين المطلي

بالأخضر وحدائقه المتعددة المتنوعة المحيطة به وبعض القناطر الصغرى الخشبية المزينة بالورود من كل لون وشكل ونوع.²⁶

2-2- الحذف (L' ellipse):

يعرف حميد الحمداني الحذف في كتابه الموسوم بـ"بنية النص السردي" على أنه تلك النقلة الزمنية للأحداث التي يتم من خلالها تجاوز بعض المراحل من الحكاية أو القصة، وهذا دون الإشارة إلى ذلك التجاوز، فقد يكتفي عادة ببعض العبارات مثل "مرّت سنوات"، "انقضى زمن طويل فعاد البطل من غيبته..."، كما اصطلح على الحذف بمصطلح آخر هو القطع...²⁷. ومن أمثلة الحذف في رواية "الجفاف يأتي من البحر" نجد: الروائي وهو يتحدث عن بطولات العرب وتكاثرهم في وجه كل قوى تتصدى لهم مختصرا ذلك في بعض العبارات جاءت في هذا القول: "...القاخرة جامع الأزهر والحارات المجاورة له، وهي أول الأمكنة زرتها يوم ذهبت للدراسة هناك خريف سنة 1975 سنوات الانتصار على العدو الصهيوني وتكاثر العرب وافتخار المصريين بالجزائريين وحادثة الشيك الأبيض الذي وضعه الرئيس الجزائري بومدين أمام الرئيس المصري السادات:

-خذ واشتري ما يلزمك من السلاح ولا يهملك."²⁸

بالإضافة إلى مقطع آخر "لو كان أخي الجيلالي معنا والذي هاجر إلى فرنسا منذ سبع سنوات، 1951، لم يجد عملا بالبلاد ولم يترك ليكمل دراسته، طرد في الدراسة الابتدائية..."²⁹ فالروائي هنا لم يفصل في الحكاية ماذا وقع في تلك الفترة المحددة بسبع سنوات وإنما اعتمد على عنصر الحذف أو القطع. وهذه التقنية الزمنية لم نجد لها حضورا كثيفا في روايتنا بل بعض المقاطع فقط.

2-3- الخلاصة (ملخص الزمن):

ففي هذه التقنية الزمنية يعتمد السارد على سرد أحداث وقعت في زمن مضى في سنوات أو أشهر أو بضع ساعات، ولكن دون التفصيل فيها واختصارها في عدد من الأسطر أو الصفحات أو الكلمات³⁰. ومن أمثلة ذلك نجد "أنا في الحقيقة لن أطيل عليكم، فقط أذكركم بأنني ولدت في بداية القرن العشرين، وبالضبط سنة 1901، لدي مجموعة من إخوة، محمد وقد استشهد سنة 1958 في الحرب التحريرية، وبلقاسم قتل في حرب لاندوشين، الهند الصينية سنة 1954، وبوعلام خرج من البيت ولم يعد ولا ندري عنه أي شيء، والغالي الذي هاجر إلى فرنسا سنة 1920 مع الدفقات الأولى من المهاجرين، وأخت سمّاها والدي سيدي البغدادي لالة فاطمة، وأخت ثانية اسمها لالة خيرة. هذه هي عائلتي التي نشأت وسطها بحي القرابة..."³¹.

2-4-المشهد:

المشهد هو ذلك المقطع الحواري الذي يتخلل النص الروائي، فيكون بشكل عرضي بين ثنايا النص المحكي، أو بعبارة أخرى اعتزال الروائي عن عملية سرد الأحداث وترك المجال للشخصيات تتحاور فيما بينها.³² وأول مثال نقف عنده في روايتنا هو ذلك الحوار الذي قام بين كل من عبد الرحمن وصديقه أحمد الزموري وهما داخل الغرفة في السكن الجامعي:

"كيفاش راهي تبانلك الدعوة؟

سألت صديقي أحمد الزموري حينما انتهى من تصفيف ما لديه من ألبسة قليلة...

-الحمد لله. شوف عبد الرحمن خويا لازم نكونو سيريو في القرايا !

في الحقيقة هو الذي لم يكن جديا في دراسته، لا سيما في سنته الأولى لما كره تخصص الحقوق وتعنّت بالرغم من نصائحي الكثيرة له:

-شوف، امحمد، راك غادي تضيع عام كامل، وأنت تعرف باللي والدك ما يطيقوش يتحملو مصاريف خمس سنوات دراسة.

ردّ عليّ دون تردد وكأنّه يبدو مصمما على ما استقر في ذهنه اليابس العنيد:

-ما عندي ما ندير بالحقوق. أنا ما غادي نولي جوج ولا محامي. هذه المسائل كبيرة عليّ. ما اللي كنت صغير كنت نبغي نولي شيخ تاع ليكول. واليوم جات لي فرصة باش نولي أستاذ بالليسي. كاش كيما أنا؟³³

كما نجد عينة أخرى من الرواية تجسد هذه التقنية الزمنية:

"-السلام عليكم.

رد باندھاش وكان يعرفني:

-وعليكم السلام.

أسقطت:

الشيخ سي محي الدين، راك عارف باللي الثورة فرضت عليك ألفين فرنك اشتراك في الثورة،

فردّ مهتزا كأنّه يريد التملص من الرد:

-راك عارف سي الحاج عبد القادر، راني بنني في الحمام ودراهمي قاع حطيتهم فيه...³⁴.

وعليه فهذه أهم المفارقات والايقاع الزمني التي وردت في رواية الجفاف يأتي من البحر للروائي محمد سعادي، إذ وردت بنسب متفاوتة من تقنية إلى أخرى إلا أنّ تقنية الاسترجاع عرفت حضورا كثيفا مقارنة مع بقية التقنيات.

3. بناء المكان في رواية الجفاف يأتي من البحر:

لقد عرف عنصر المكان في الأعمال السردية اهتماما كبيرا من قبل النقاد والدراسين، فأولوه بالعديد من الدراسات والبحوث العلمية ووضعوا عدة تعريفات نذكر منها تعريف الناقد **لوثمان** الذي يرى بأن المكان بأنه "مجموعة من الأشياء المتجانسة (من الظواهر، أو الحالات، أو الوظائف، أو الأشكال المتغيرة...) تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة/ العادية (مثل الاتصال، المسافة...)".³⁵ في حين نجد الجرجاني يرى بأنه ذلك الفراغ الناتج عن التوهم والذي يشغله الجسم وتشكله الأبعاد.³⁶

كما نجد "أفلاطون" يعرف المكان بقوله: "حاويا وقابلا لكل حدث"³⁷، أي أنه كل حيز حاوي للأحداث، في حين يرى "أرسطو" بأنه هو "السطح الباطن المماس للجسم المحتوي"³⁸. والأماكن في العمل الروائي يمكن تصنيفها إلى صنفين هما الأماكن المفتوحة والأماكن المغلقة، نوضحها كما يلي مع الاستشهاد على ذلك من رواية الجفاف يأتي من البحر:

1.3. الأماكن المفتوحة:

وهي تلك الأماكن التي تتعدى الحدود التي تضبطها، فتكون غير مقيدة بل مفتوحة على العموم مما يجعل الفرد يحس نفسه بعيدا كل البعد عن العزلة، وهذا النوع من الأماكن يخضع لبعض الاختلافات يفرضها الزمن الذي بدوره يتحكم في شكلها الهندسي وطبيعتها.³⁹ كما يمكن القول بأنها الأماكن التي يمكن أن تلتقي فيها العديد من الأنواع المختلفة من البشر، مما يجعل المكان يعج بالحركة.⁴⁰ ومن أمثلة هذا النوع من الأمكنة في روايتنا محل الدراسة نجد:

- **الساحة:** هي مكان مفتوح غير مضبوط بحدود تشكل أبعاده، يكون عادة في مدينة أو داخل أي مكان ما، وقد ورد هذا المكان في رواية الجفاف يأتي من البحر، وهذا ما ألفناه في المقطع التالي: "...يدلف إلى إحدى مقاهي المدينة عندما يلح أحد زملائه القدماء الذين تقاعد بعضهم فتلقفتهم المقاهي والأسواق وساحات المدينة التي لم تعد تتسع لكل هؤلاء المتقاعدين الذين يفترشون البلاط الأصفر لساحة "ميناء" أو ساحة "البلدية" قبالة مسجد "النور"، الذي كان في الأصل كنيسة تمها وفود النصارى، الرواما، الذين كانوا يعيشون في مدينة غليزان".⁴¹

- **الشوارع:** الشوارع هي أماكن عمومية توجد داخل المدينة والقرية والبلدة، فهو جزء من المدينة وأحد معالمها المميزة لها، وقد جاء هذا الفضاء في الرواية في هذا المقطع: "صوب نحوه المسدس الذي كان يخبئه تحت معطفه متكررا بالزي الفرنسي، أطلق العديد من العيارات، ربما كب في جسده الطويل كل الرصاصات... لتشاهده إحدى العجائز الفرنسية من شرفتها المطلّة على الشارع الذي قتل فيه، فأطلقت

صرخة مدوية لروع المشهد الدموي...⁴². كما نجد مقطعا آخر كشاهد على استحضار هذا الفضاء في الرواية "تغيرت فيها أسماء الأزقة والشوارع والطرق فاستبدلتها البلدية بأسماء الشهداء والشهداء".⁴³ كما نألف الشارع أيضا في هذا المقطع: "...ليس مثل دكاكين حي القرابة، لاسيما شارع "لاروسي" وتلك الحركة التي كنا نحبا ونحن صغار، نجري عند عمي بلبيض، هذي كرانتিকা، هذا لأكريم...⁴⁴

-السوق: هو فضاء تجاري تعرض فيه نختلف السلع والمنتجات التي يحتاج إليها الإنسان في حياته اليومية من خضر وفواكه ومستلزمات أخرى، ومن المقاطع المقتطفة من روايتنا والتي احتوت على فضاء السوق نجد "صغر العالم كثيرا وضافت الدنيا بي في مدينة كالحجر لا فائدة منها، تخرج من زقاق لتدخل في زقاق آخر... نفس السوق التي كبرت وتعددت دون تجدد، البطاطا، البصب، الزرودية، الطوماطيس، اللفت في كل المواسم، القرناغ والجلبان والفلول والغفلة في موسمها، التيشنة والتفاح والبانان والبعويد والتمر والقصبر والمعدنوس والكرافس وقفف البؤس والتحميل في كل مكان، ولا جديد تحت الشمس".⁴⁵ كما نجد الروائي قد وظف المصطلح العامي للسوق في الثقافة الجزائرية "المارشي"، وهذا يظهر في هذا المقطع "مررت بالقرب من المارشي كوفار، السوق المغطاة، التي يقال بأن نابليون الثالث قد زارها وقت الاستعمار الفرنسي... تغلق السوق المغطاة باكرا، قبل المغرب، ويبقى باعة الخضر ولا سيما الفواكه المتجولون بعرباتهم بالقرب منه يحاولون بيع ما تبقى لهم من خضر وفواكه".⁴⁶

-حي لاروبال: هو أحد أحياء مدينة غليزان، استحضره الروائي في روايته في عدة مقاطع نذكر منها: "خرجنا من عندة سفيان الذي كان يسكن من ممر سكة الحديد في مدخل حي لاروبال، مشينا قليلا، توقفنا بسبب مرور القطار في هذه الساعة من المغرب، قطار وهران -الشلف...⁴⁷، إذن هذه أهم الأماكن المفتوحة التي احتوت عليها رواية الجفاف يأتي من البحر.

2.3. الأماكن المغلقة:

هي عكس الأماكن المفتوحة، إذ نجدها محددة بإطار مضبوط يضبط بدوره مساحتها ويجعلها تتميز بالعزلة عن مختلف الأماكن، كما أنها ذلك الفضاء الذي يعتمد الإنسان للعيش فيه مثل البيوت أو أماكن العمل وهذا بإرادته، كما أنّ هناك أماكن تقرض عليه وتدفعه للعيش في حال دون رغبته في ذلك مثل السجون والمعتقلات، مما يجعله تارة مصدرا للراحة وتارة أخرى مصدرا للشقاء.⁴⁸ ويرى الناقد شريف حبيلة بأنّ الأبعاد الهندسية للمكان هي التي تكسبه وجودا وظيفية هامة.⁴⁹ ومن الأمثلة المستقاة من الرواية والتي تدل على الأماكن المغلقة التي وظّفها الروائي نجد:

-المسجد: هو بيت الله الذي يتعبد الإنسان فيه خالقه بالصلاة والدعاء، يحظى بأهمية كبيرة في نفوس المسلمين لبعده الديني، واستحضاره في الرواية دليل على الثقافة الدينية التي يتميز بها الروائي بالإضافة

إلى أنه يمثل العقيدة الإسلامية للشعب الجزائري. ونجد فضاء المسجد في روايتنا في عدّة مقاطع نذكر من بينها: "في الحقيقة سمعت كثيرا بإمام المسجد يطلب من الناس أن يشاركوا في إصلاح مراحيض المسجد التي تدهورت حتّى أصبحت مراحيض عمومية، بواله، بل حتّى وهو يجمع دراهم بناء مراحيض جديدة وقفت له إحدى جمعيات حماية البيئة لتمنعه وبالقانون من القيام بذلك. لم يخطر على بال إمام المسجد أنّه سيأتي يوم ويمنع من بناء مراحيض لمسجده".⁵⁰

-**المدرسة:** هي فضاء ومؤسسة تعليمية هادفة، يتلقى فيها الطلاب العلم والمعرفة من المعلمين والأساتذة، حتّى ينوروا عقولهم ويدفعون بهم نحو الأمام ليصبحوا إطارات هامة من معلمين وباحثين ومهندسين... يستفيد منهم وطنهم. نجد فضاء المدرسة في المقطع التالي من الرواية: "...وكانت عمّتي خيرة أم توفيق وهي أكبر من أبي تخافه كثيرا وترتعب منه... فكانت تمشي دون أن تتزحزح عن مشيها يمينا أو شمالا على طول الطريق إلى مدرستها، متوسطة صوف، التي انقطعت عنها رغم نبوغها في الدراسة في هذه الفترة بالذات".⁵¹

-**الحدائق:** هي فضاء بيئي طبيعي يتمثل في الروضة والبستان، وهي عبارة عن أرض مرتفعة تحتوي على مختلف المواد الطبيعية مثل الأشجار والحيوانات وغيرها ومواد مصنّعة بيد الانسان مثل تخصيص أماكن للراحة تحتوي مثلا على طاولات وكراسي. والانسان يقصدها للاستجمام والتّزّه بغيّة التّخلّص من الضغوطات اليومية الناتجة عن الروتين اليومي من تعب وارهاق وغير ذلك.⁵² ويظهر هذا الفضاء في الرواية في عدّة مقاطع نورد منها: "...لا وجود لقاعة مسرح ولا حدائق للتّسلية ما عدا تلك الحديقة التي كانت تسمّى قديما "لاديك"...".⁵³

-**البيت:** وهو المكان الذي يعيش فيه الانسان سواء بمفرده أو مع أفراد عائلته، نجده في الرواية يظهر في المقطع التالي: "ولكنّه لا يذهب، يبقى في البيت، وبالضبط في مكتبه قبالة حاسوبه الذي يشع ضوء في وجهه، يقرأ ثم يفكر ليكتب".⁵⁴

-**المطبخ:** هو أحد الأجزاء التي يتكوّن منها البيت، عبارة عن مساحة من البيت تخصص لتحضير الطعام، أورده الروائي في هذا المقطع "دخلت المطبخ كعادتي كلما رجعت من جولاتي المستمرة بحثا عن مخرج لمشكلتي التي يظهرها لي أبي كلّما تصادفنا والتقينا بالبيت، طبعا لا نلتقي خارج البيت...".⁵⁵ وعليه فهذه أهم الأماكن المغلقة التي استحضرها الروائي محمد سعاد في روايته الجفاف يأتي من البحر، وقد وظّفها نظرا للقيمة التي تضيفها على الرواية.

4. خاتمة:

من خلال دراستنا لرواية "الجفاف يأتي من البحر" محمد سعادي استنتجنا مجموعة من النتائج نذكرها فيما يلي:

1. الزمان والمكان هما المحرك الأساسي الذي يدفع بالأحداث الروائية للسير وتشكيل عمل فني.
2. الترتيب الزمني يقوم على أربعة عناصر هي الحذف والمشهد والاستراحة والخلاصة، وظفها الروائي في روايته.
3. وظف الروائي محمد سعادي العديد من المفارقات الزمنية التي ساهمت في التشكيل الفني لروايته.
4. استحضر الروائي محمد سعادي العديم من الأماكن في روايته تتوزع بين الأماكن المفتوحة والمغلقة.
5. لقد نوع الروائي في استحضار الزمن بين ماض وحاضر وهذا من خلال توظيفه تقنيات الاسترجاع والاستباق.
6. تجمع بين الزمان والمكان علاقة تكاملية، إذ لا يمكن تصور عمل روائي دونهما، فهما يكملان بعضهما البعض، لذلك اصطلح عليها بمصطلح يجمع بينهما هو الزمكانية.
7. عرفت رواية "الجفاف يأتي من البحر" عدة انكسارات زمنية تحققت من خلال الترتيب الزمني والمفارقات الزمنية.

5. الهوامش:

1.حدوش بختة

²ينظر: هويدا شريف، الفضاء الزمني في رواية حكاية بحار، على الموقع الإلكتروني:

http://www.eloarabiamagazine.com، 2025/04/05، 23:32.

³ ينظر: عبد القادر رحيم، الترتيب الزمني في رواية (المرفوضون) لإبراهيم سعدي، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة محمد بوضياف المسيلة، مج 06، ع01، ص163-164.

⁴ المرجع نفسه، ص163.

⁵ ينظر: جيرالد برنس، المصطلح السردي (معجم مصطلحات)، تر: عابد خزندار، محمد بري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط01، 2003، ص165.

⁶ ينظر: حوراء عبد الأمير عبد الله، رسول بلاوي، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ع2، مج: 20، 2023، ص91.

⁷ ينظر: أمين خروبي، تقنيات الزمن الروائي دراسة في المفارقات الزمنية والإيقاع الزمني، مجلة مقامات للدراسات اللسانية والأدبية والنقدية، المركز الجامعي آفلو، ع2، مج: 3، 2019، ص08.

⁸ينظر: المرجع نفسه، ص8-9.

- ⁹ محمد سعادي، الجفاف يأتي من البحر، دار أم الكتاب، مستغانم-الجزائر، ط01، 2013، ص28.
- ¹⁰ المصدر نفسه، ص 80.
- ¹¹ المصدر نفسه، ص 44.
- ¹² المصدر نفسه، ص76.
- ¹³ المصدر نفسه، ص08.
- ¹⁴ ينظر: عبد العزيز نصراني، قراءة في الزمن دلالاته وتقنياته في رواية امرأة بلا ملامح لكمال بركاني، ص 09.
- ¹⁵ ينظر: أمين خروبي، تقنيات الزمن الروائي دراسة في المفارقات الزمنية والإيقاع الزمني، ص ص 12-13.
- ¹⁶ محمد سعادي، الجفاف يأتي من البحر، ص20.
- ¹⁷ المصدر نفسه، ص29.
- ¹⁸ المصدر نفسه، ص29.
- ¹⁹ عبد القادر رحيم، الديمومة الزمنية في رواية بحثا عن آمال الغبريني، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، مج 17، ع01، 2021، ص21.
- ²⁰ ينظر: المرجع نفسه، ص21.
- ²¹ ينظر: أمين خروبي، تقنيات الزمن الروائي دراسة في المفارقات الزمنية والإيقاع الزمني، ص 14.
- ²² محمد سعادي، الجفاف يأتي من البحر، ص76.
- ²³ المصدر نفسه، ص79-80.
- ²⁴ المصدر نفسه، ص84.
- ²⁵ المصدر نفسه، ص60.
- ²⁶ المصدر نفسه، ص94.
- ²⁷ ينظر: حميد الحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 1991، ص 77.
- ²⁸ محمد سعادي، الجفاف يأتي من البحر، ص84.
- ²⁹ المصدر نفسه، ص75.
- ³⁰ ينظر: حميد الحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 76.
- ³¹ محمد سعادي، الجفاف يأتي من البحر، ص99.
- ³² ينظر: عبد القادر رحيم، الديمومة في رواية بحثا عن آمال الغبريني، ص22.
- ³³ محمد سعادي، الجفاف يأتي من البحر، ص88-89.
- ³⁴ المصدر نفسه، ص123.
- ³⁵ محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط01، 2010، ص99.
- ³⁶ ينظر: الجرجاني، كتاب التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الزيان للتراث، د.ب، د.ط، د.ت، ص292.

- ³⁷ هبة فاخوري، المكان في شعر نزار قباني، بيروت أنموذجًا، مجلة جامعة البحث، ع03، مج: 45، 2023، ص 120.
- ³⁸ المرجع نفسه، ص 120.
- ³⁹ ينظر: الشريف حبيبة، بنية الخطاب الروائي، عالم الكتب، الأردن، ط01، 2010، ص224.
- ⁴⁰ ينظر: عبد الحميد بورايو، منطق السرد، منشورات الهل الجزائر، ط01، 2009، ص148.
- ⁴¹ محمد سعادي، الجفاف يأتي من البحر، ص34.
- ⁴² المصدر نفسه، ص30.
- ⁴³ المصدر نفسه، ص122.
- ⁴⁴ المصدر نفسه، ص15.
- ⁴⁵ المصدر نفسه، ص19.
- ⁴⁶ المصدر نفسه، ص44-45.
- ⁴⁷ المصدر نفسه، ص09.
- ⁴⁸ ينظر: زوليفة حنطابلي، دلالة المكان المغلق في رواية الخبز الحافي لمحمد شكري، مجلة اللغة العربية، مج24، ع03، 2022، ص517.
- ⁴⁹ ينظر: الشريف حبيبة، بنية الخطاب الروائي، ص204.
- ⁵⁰ محمد سعادي، الجفاف يأتي من البحر، ص34.
- ⁵¹ المصدر نفسه، ص11.
- ⁵² ينظر: بودالية تواتية، الحديقة الأندلسية، مجلة عصور، مج14، ع01، 2015، ص56-57.
- ⁵³ محمد سعادي، الجفاف يأتي من البحر، ص19.
- ⁵⁴ المصدر نفسه، ص07.
- ⁵⁵ المصدر نفسه، ص16.

6. قائمة المصادر والمراجع:

1. أمين خروبي، تقنيات الزمن الروائي دراسة في المفارقات الزمنية والإيقاع الزمني، مجلة مقامات للدراسات اللسانية والأدبية والنقدية، المركز الجامعي آفلو، ع2، مج: 3، 2019
2. بودالية تواتية، الحديقة الأندلسية، مجلة عصور، مج14، ع01، 2015
3. الجرجاني، كتاب التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، دب، د.ط، د.ت،
4. جيرالد برنس، المصطلح السرد (معجم مصطلحات)، تر: عابد خزندار، محمد بري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط01، 2003
5. حميد الحمداني، بنية النص السرد من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 1991،

6. حوراء عبد الأمير عبد الله، رسول بلاوي، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ع2، مج: 20، 2023
7. زوليخة حنطابلي، دلالة المكان المغلق في رواية الخبز الحافي لمحمد شكري، مجلة اللغة العربية، مج24، ع03، 2022
8. الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، عالم الكتب، الأردن، ط01، 2010
9. عبد الحميد بورايو، منطق السرد، منشورات الهل الجزائر، الجزائر، ط01، 2009
10. عبد القادر رحيم، الترتيب الزمني في رواية (المرفوضون) لإبراهيم سعدي، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة محمد بوضياف المسيلة، مج 06، ع01، 2021
11. عبد القادر رحيم، الديمومة الزمنية في رواية بحثا عن آمال الغبريني، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، مج 17، ع01، 2021
12. محمد بوعزة، تحليل النص السردى تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط01، 2010
13. محمد سعادي، الجفاف يأتي من البحر، دار أم الكتاب، مستغانم-الجزائر، ط01، 2013
14. هبة فاخوري، المكان في شعر نزار قباني، بيروت أنموذجا، مجلة جامعة البحث، ع03، مج: 45، 2023، ص
15. هويدا شريف، الفضاء الزمني في رواية حكاية بحار، على الموقع الإلكتروني:
<http://www.eloarabiamagazine.com>، 2025/04/05، 23:32.